الناقد والباحث المصري د.صلاح فضل لـ (المدى):

الإبداع الذي لا يحرر الإنسان سياسيا واجتماعيا مآله النسيان!

الرواية شغلت مساحة لا على حساب الشعر، بل إلى جواره

ابراهيم حاج عبدي
دمشق

يعد د. صلاح فضل واحدا من أهم النقاد العرب، وقد اصدر عدة أبحاث ودراسات أسهمت في إثراء المكتبة العربية التي تفتقر إلى الدراسات النقدية المعمقة.
شارك، مؤخرا، في أعمال الندوة التي عقدت في دمشق حول تجربة الشاعر نزار قباني، وقد انتهزت "المدى" هذه الفرصة، وأجرت هذا الحوار القصير قياسا إلى تجربة نقدية واسعة وطويلة كتجربة صلاح فضل. فيما يلي نص الحوار الذي يلامس بعض القضايا الإشكالية ضمن المشهد الثقافي العربي:

❖ بعض النقاد يدعون إلى قطيعة معرفية مع التراث والأخذ، بدلا منه، بالنظريات النقدية الأدبية الغربية، وبعضهم الآخر يقول العكس، إذ يرى ضرورة الالتفات إلى التراث وتجاهل النظريات الغربية، كيف ينظر د.صلاح فضل إلى هذا السجال الذي يدور بين الأوساط النقدية والأكاديمية العربية، والى أي صف ينحاز؟

– إن هذه الفرضية التي تطرحها في سؤالك، هي نظرية بحتة، فلا اعرف مفكرا نقديا يدعو إلى إهمال التراث، وإسقاطه من الحساب، لان هذا التراث داخل في التكوين الحي للنسيج الثقافي، وفي المقابل لا اعرف مفكرا، مهما كان تقليديا وتراثيا، لا يحاول الإفادة من المنجزات العلمية الحديثة بقدر طاقاته وقابليته، واستعداده، وبالتالي فان هذا الاستقطاب الذي تتحدث عنه غير موجود في الواقع الفعلي، الأكاديمي والثقافي.

كل المسألة أن هناك بعض الدارسين التقليديين يعجزون بحكم قدراتهم عن ملاحقة التطورات الحديثة فيعتبرون الاستفادة من هذه التطورات ارتماء في حضن الغرب، وهذه دعوى مضحكة لان التقدم الحضاري الغربي لا يمكن أن نعوضه، ونقطع المسافات بيننا وبينهم فيه بالثبات على الأوضاع القديمة والعزوف عن الأخذ بأسباب النهضة والتقدم في كل المجالات، ومنها وفي مقدمتها العلوم الإنسانية. التقسيم، إذاً، مفتعل والواقع الصحيح يقول بان المثقفين والمفكرين والنقاد يتفاوتون في قدراتهم ومواهبهم وأدواتهم المعرفية، فمن يتقن لغة أجنبية، وأتيحت له فرصة الاحتكاك المباشر والمعرفة العميقة بالثقافة الغربية لا يستطيع أن يتحول إلى حجر أصم لا يتشرب العناصر الإيجابية فيها، وهذا لا يعني انه قد اصبح غربيا بل يعني انه قد اصبح قادرا على الوعي بثقافة العصر وتنمية ثقافته المحلية.

❖ هل يعاني الواقع الثقافي العربي من أزمة نقدية، وما مدى دقة وصوابية هذه الشكوى التي يكررها الكتاب باستمرار؟

– منذ أن وعيت ومارست النقد وأنا اسمع هذه الشكوى المتكررة من قبل الكتاب والمبدعين، وهذه الشكوى أراها طبيعية وذلك لأمر بسيط وهو أن أي كاتب مبتدئ لم يفرغ بعد من نشر عمله الأول سرعان ما ينشد من يطمئنه على طبيعة عمله، ويمسك بيده في طريق المستقبل، وإذا كان الواقع لا يمكن أن يتيح توفير ناقد لكل مبدع، فسوف يشعر هذا الكاتب المبتدئ بأزمة النقد.

في هذا السياق أود الإشارة إلى أن النقاد الجادين الذين يملكون بصيرة نافذة هم قلة جدا في مختلف العصور، وهذه النتيجة انتهيت إليها من أبحاث مدعمة بالإحصائيات، وهؤلاء النقاد القلة يختارون بعض النصوص الإبداعية للحديث عنها كنماذج يمكن أن يقاس عليها المئات من النصوص التي تنتمي إلى النسق نفسه، وبالتالي فليس من الضروري أن ينتظر الكتاب تعليقا نقديا على كل ما يكتبون، وحسبهم بعض التعليقات الصحفية، والكاتب الحقيقي الذي يعرف طريقه ويجتهد في القيام بمهمته قادر على أن ينتزع اعتراف النقاد به، وهو يجبر النقاد . آنذاك . على أن يأخذوه بجدية، فيعالجون أعماله الإبداعية بشكل أو بآخر. أمر ثان احب أن أضيفه وهو أن مهمة النقد ليست محصورة بالمتابعات التطبيقية، بل هي تقدم بحوثا نظرية كذلك، وهذه البحوث تزكي الجانب التطبيقي وتمده بمقومات التحديث ومكتشفات العلوم الجديدة، بمعنى أن النقاد الذين يعتد بهم لا بد لهم من تخصيص جزء من طاقتهم للمتابعة الدؤوبة لتطورات نظرية الأدب والمعرفة، ولمتابعة حساسية الواقع وذبذباته السياسية والاجتماعية والثقافية المنتج للأعمال الإبداعية التي يتصدون لعلاجها في الممارسة التطبيقية.

❖ ثمة إشكالية قائمة في الحياة الثقافية العربية تتمثل في العلاقة الشائكة بين الرقابة وبين الإبداع، وثمة مؤسسات تقف ضد حرية المبدع. كيف تنظر إلى هذه الإشكالية؟

– الفن بمختلف جوانبه إبداع، وحياته في الحرية، وقاضيه الوحيد هو الجمهور، فالإبداع الذي يجد جمهورا يقبل عليه ويرحب به يكتسب مشروعيته، ولا دخل لأية مؤسسة سياسية أو دينية بذلك، لأنها مؤسسات طفيلية تدافع عن مصالحها المحدودة، ولو تركت لتتحكم في الإبداع لقتلته، ولحسن الحظ فان المبدعين يتمتعون بقدر كاف من الدهاء وخداع هذه المؤسسات التي تمارس الرقابة.

هناك بعض المبدعين لا يملكون هذه الخبرة الجمالية في خداع المؤسسات فيقعون . حينئذ . في المحظور، وأما المبدعون الكبار فيسبقون عصرهم، ويقومون بدورهم، ويستطيعون العثور على تقنيات فنية من ترميز واستعارة بشكل يجعلهم قادرين على هذا الخداع الجمالي للسلطات، والإبداع الذي لا يحرر الإنسان سياسيا واجتماعيا مآله النسيان. كل أشكال الرقابة غير مشروعة، ومعوقة وإذا كانت بعض المجتمعات التي سبقتنا قد أزالت حواجز الرقابة في مستوياتها المختلفة، فان مجتمعاتنا العربية لا بد لها من أن تصل إلى هذه النتيجة، وتنسى الرقابة.

❖هل أنت راض عن مستوى النقد الأدبي الممارس في البلاد العربية؟

– احسب أن النقد العربي، في عقوده الثلاثة الأخيرة، قد بلغ درجة عالية من النضج بحيث شهدنا نقادا ذوي قامات عالمية، خاصة هؤلاء الذين كتبوا بلغات أجنبية مثل الراحل إدوارد سعيد على سبيل المثال..أما من يكتبون بالعربية فلو ترجمنا دراساتهم النقدية إلى اللغات الأخرى فلن تكون اقل قدرا من الدراسات السابقة. أنا اعتقد أن النقد العربي مواكب لأقصى درجة للتطورات العالمية وللإبداع العربي مما يجعله في مستوى العصر. ربما يتفاوت هذا الأمر قليلا من قطر إلى آخر نتيجة لطبيعة العلاقة بين الأقاليم المختلفة المحكومة بالموقع الجغرافي وبالعنصر السياسي والقدرة على التواصل، لكن المنظومة النقدية في جملتها في الشمال الأفريقي إلى بلاد الشام ومصر والعراق إلى الخليج العربي تشف عن طاقات نقدية كبيرة، وقامات نقدية حقيقية لم تتوفر في أية مرحلة تاريخية سابقة مثلما لم تتوفر في الأدب العربي، من قبل، كوكبة من الشعراء والروائيين مثل الذين نسعد بعطائهم المتميز في هذه المرحلة.

❖ هل صحيح أن الرواية قد احتلت مكانة الشعر التقليدية، فبعدما كان الأخير "ديوان العرب"، أصبحت الرواية في الموقع المتقدم بين الأجناس الأدبية. ما قولك؟

د.صلاح فضل

– أنا أظن أن هذا زمن الشعر، وزمن الرواية، وزمن السينما وزمن التقنيات الرقمية الجديدة...لأن توالد الأشكال الجمالية لا يؤدي إلى تناسخها، فلا يمكن للرواية أن تلغي نبع الشعرية في الثقافات الإنسانية لأنها تستمد جزءاً كبيرا من وجودها من هذا النبع ذاته، فلو خلت الرواية من الشعرية لأصبحت شديدة القبح والجهامة، وغير قادرة على تمثيل جماليات الحياة، وبالتالي فان العلاقة بين الأجناس الأدبية هي علاقة التضافر وليس التنافر أو تبادل الأدوار، كل ما هنالك أن تاريخنا الروائي قد بدأ في القرن العشرين حيث اطل علينا وجه هذا الفن الجميل فشغل مساحة في حياتنا لا على حساب الشعر، بل إلى جواره.

تنويمة لعقيل علي

صادق الصائغ

ستك ....
دع الموج يلهو به
دع الموج يعلو
فعقيل سيطفئ مصباحه
عقيل سيشعل اوجاعه
عقيل يغني
عقيل سيغفو
عقيل سيغفو
عقيل ينام

مصائر

لكل حياته
فبعض لبعض فخاخ
وبعض كلاب حراسه
وبعض لهيب
وخبز وملح
وبعض
عصافير نار
لاعشاشها راحله

هاملت

يتنكر آنا بدور فراشة
وآنا يرى كشعاع

حذاء وسادته❖

ينام على مصطبات الطريق
ككتاب ممزق
والمويجات تلهو به
وتدفعه
نحو تلك اللجج

متعب

و"تنام احتمالاته"
و "حذاء وسادته"
وعلى مصطبات الطريق
البلاد ستطفي مصابيحها
البلاد ستعلو
تغيب
ومصطبة واحدة
سوف تكفي صديقي
سوف تكفي

في الوداع الاخير

تركت لنا كل شيء
متحف المومسات
الكسسورات
فراشي التكحل
عالم الشمع والاقنعه
والتماثيل صائلة في منصاتها
وعزى ولات
وتركت الحرائق
تشب باشجارنا العارية

وله مرسح
وقناع

واخر دور له
كان دور القتيل
وما زال يسال جمهوره
من ترى اجتز رأسه
والقى به
في شباك الخديعة ؟

❖الجملتان بين قويسين من قصيدة لعقيل علي

آراء تـرفـض الانـسـيـاق

جدل متجدد حول كينونة قصيدة النثر والدعوة للعودة الى القصيدة العمودية

عدنان الفضلي

بعد السقوط المهين للنظام السابق في نيسان عام ٢٠٠٣ وانزواء المزامير والطبول التي كانت تهلل وتكبر له. شهدت الساحة الثقافية العراقية انطلاقة جديدة وقوية تمثلت في توسيع مجالات النشر وافساح المجال للطاقات الشابة والكفاءات التي كانت مغيبة عن المشهد الثقافي كي تطلق ابداعاتها، وحملت لنا وسائل الاعلام العديد من الاسماء والاقلام الراقية التي امتعت المتلقي العراقي وانعشت ذائقته الادبية. وقصيدة النثر كانت احدى تلك الابداعات حيث شاهدنا او قرأنا العديد من تلك القصائد التي كتبها شعراء يمتلكون ادوات بناء القصيدة النثرية، ولكن في الوقت ذاته بادر بعض المثقفين والادباء الى الطعن في شكلية وجمال تلك القصيدة بل ذهب البعض منهم الى المطالبة بعدم ضمها الى الاجناس الادبية والشعرية فيما تحدث اخرون عن كونها لا تحتوي ابداعا ولا جمالا. وهنا بدأ الجدل القديم –الحديث يعود تحت مسمى اخر هو الدعوة لانقاذ القصيدة العمودية ولكي نتناول هذا الجدل من باب اطلاع المتلقي على حقيقته ومبرراته تحدثنا الى عدد من شعراء العراق وسجلنا ملاحظاتهم حول هذا الموضوع فكانت هذه الحصيلة.

تساؤل

الفريد سمعان: أريد قصيدة حقيقية

– انا لا افهم معنى هذا الصراع الذي يفتعله البعض. لماذا يثار بين الحين والاخر ؟ لماذا لا نتعامل مع الشعر على انه شعر ؟ فمن يريد ان يكتب ضمن التفعيلة فليكتب ومن تستهويه قصيدة النثر ليكتبها.. هناك من يحدد جمال القصيدة فلماذا نمضي الى المشكلة اساسا ؟.

انا مثلا اريد قصيدة حقيقية بدون أي عائق.. اريدها من اعماق القلب تمتلك احاسيس وتمتعني وتمنحني النشوة.. اما من يدعو الى غير ذلك فهو متعصب لشيء لا يصلح ان يكون من منهج النقد.

ورأيي في قصيدة النثر يحتوي رأيا اخر فأقول –ان الاساس الذي تقف عليه كل قصائد الشعر العربي وحتى هذه الايام قد شيد على التفعيلة. ولازالت القصيدة العمودية تمتلك من يستمع لها ويترنم بها ويبدي الاعجاب بمحتواها، ومن قصيدة التفعيلة تناسلت النماذج الشعرية المتطورة في الشعر الحر الذي اوجد صداه (بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعلى احمد باكثير) وشعراء لبنان الذين كانوا ينشرون قصائدهم عبر مجلة الاديب مثل (رئيف خوري) وكذلك شعراء مصر الذين اتوا بمحاولات للخروج من اسوار التفعيلة.

وقصيدة النثر لم تكن وليدا جديدا فقد جاء بما يماثلها الشاعر (حسين مردان) واسماها وقتها (النثر المركز) وهناك العديد من الشعراء الذين كتبوا قصيدة النثر بصورها الراقية وليس كما يكتبها الشعراء العاديون. فالنثر يحتاج الى ايقاعات خاصة تتفاوت بين الهمس والصراخ.. بين توليف المبدع والرسم بصور شعرية رقيقة..

احمد الباقري: القصيدة الحديثة نبض انسان المستقبل

فيما تحدث الشاعر والاديب (احمد الباقري) قائلا:

– ربما كانت هذه الدعوة هي لانعاش الهيكل المنهك للقصيدة العمودية التي ساء استخدامها في اغراض مدح النظام السياسي البائد وقائده سيئ الذكر، ومهما كانت هذه الدعوة تحمل ملمحا صغيرا من ملامح التجديد في بعض الصور الشعرية الا انها تبقى في القفص الضيق لعمود الشعر العربي.

ربما تبدو هذه الدعوة هي عودة للتراث الشعري القديم ولكنها لا ترقى الى ابداع الشعر العمودي القديم منذ المعلقات السبع وانتهاء بمدرسة ابولو في مصر مرورا بالجواهري والسياب في بداياته والاخطل الصغير (بشارة الخوري). كما ان الطعن بجمالية القصيدة النثرية ما هو الا ردة في الذوق الشعري المعاصرلاسيما وان هذه القصيدة قد اصبحت الحاضر والمستقبل والذي رفع من شانها كبار كتابها مثل ادونيس وانسي الحاج ومحمد الماغوط وفي العراق سركون بولص ومؤيد شكري الراوي وانور الغساني وصلاح فائق، ثم تلتهم الاجيال الجديدة التي نسجت لواء هذه القصيدة الجريئة.

حيدر عبد الخضر: العلة في منتج النص

وتحدث الشاعر (حيدر عبدالخضر) قائلا :

– لقد ظلت مسألة الاشكال والقوالب الشعرية مثار جدل وخلاف بين اغلب نقاد المدارس والتيارات النقدية الذين انقسموا الى فرق وطوائف في تأييدهم لهذا الشكل او ذاك على حساب الاشكال الشعرية الاخرى، وفيما كان التطرف النقدي احد ابرز واهم اوجه هذه الطروحات، لان هنالك انطباعات واراء ووجهات نظر ألتزم قسم منها الحيادية والبعض الاخر ارتكن للموضوعية والنظرة الدقيقة والفاحصة لمجمل التجارب الادبية التي تقع ضمن اطار هذه الاشكالية. ومن هذه الاراء من عد النص الشعري العمودي نصا مقدسا لا ينبغي تجاوز اطره وحيثياته وقواعده الشاخصة والصارمة فكأنه نص مقدس لا يأتي الباطل من يديه ولا من خلفه. وهناك من عد هذا النوع مستهلكا لا يتناسق مع حجم المتنورات ولا يتماشى مع ايقاع العصر وتطور المناهج الادبية والنقدية الحديثة بصورة عززت من القيمة المعرفية والجمالية بقصيدة النثر التي اعتبرها اصحاب الموقف الاول قصيدة هجينة وعلينا ان نؤشر وبأمانة وبقراءة دقيقة وملتزمة لما يطرح من خطاب شعري ينتمي الى هذه المدرسة او هذا الشكل دون سواه.. فالنص الابداعي الحقيقي نص منفتح على التجربة الحياتية والانسانية بكل مدياتها المتعارف عليها، نص يلتزم قضايا الذات والانسان والمجتمع نص يمتلك الاثارة والدهشة ويثير التساؤل، نص يتجاوز ذاته لينطلق في فضاءات وعوالم تنزع نحو الجمال وتؤمن بالتغيير والصدمة والتجاوز والابتكار .

منصور الناصر: الشعر مشاعر

اما الشاعر (منصور الناصر) فقد عبر عن رايه بالقول :

الجواب واضح اذن ولا حاجة للتفصيل فيه. غير اني سانساق مع ما يظنه الكثيرون من الادباء والكتاب بان الجدل اصبح خطيرا.. واقول و ضمن الاطار ذاته ان من ينظر الى الشعر باعتباره شكلا فقط هو ليس بشاعر اصلا ولا يفقه من الشعر أي شيء. فالشعر مشاعر.. مشاعر في كلمات وصور... الخ.

والمعيار لشعرية أي نص لا في شكله بل في قدرته على ان يمنحنا احساسا بالشعر دون مقدمات ولا تبريرات ولا أي تحضيرات مسبقة.. مع هذا فان الالتجاء للقصيدة العمودية هذه الايام بعيدا عن شكليتها المتعارف عليها، يوحي وكان هنالك ردة مقصودة لاساليب شعرية راسخة قديمة اكثر مما يجب ان تكون عليه الحال لو ان البعض التجأ الى كتابتها بوحي معاصر جاد يعيد لشكلها ما خسرته من ألق وسحر.

اعني ان العودة الى الكتابة عموديا عليها ان لا تستمد قوتها من الماضي بل من المستقبل، واقول بصراحة ان اغلب من عاد الى الكتابة بها الان ليسوا اكثر من منساقين (دون ان يعلموا) الى نكوص حضاري شامل تعيش تحت وطأته بلداننا حاليا،

علي شيال: لا إلغاء

وللشاعر (علي شيال) رأيه الذي يقول:

– ان مثل هذه الدعوات والتيارات التي تطالب بعودة مدرسة ما الى الوسط مرة اخرى ليست جديدة على الشارع الثقافي العراقي لكني اجد ان الشعر لا تحدده مدرسة او شكل او تيار. فالشاعر واقصد المبدع منهم الذي تجاوز اللحظة (الزمكانية) يتعدى هذه الانظمة والتنظيرات لانك قد تجد القصيدة في وجه طفل او صرخة ثكلى او لحظة طيران عصفور. وما اريد ان اختصر فيه القول.. ان ليس باستطاعة احد ان يدعو الى التقهقر الى الخلف ليغطي جمال النص الحديث كما ليس باستطاعة احد يلغي القصيدة العمودية مهما وصلت الحداثة في مدارس الشعر.

علي شبيب: الشعر كتابة ضوئية.

اما الناقد والشاعر (علي شبيب ورد) فقد قال :

– الكتابة الشعرية وعلى مر العصور يتصارع فيها تياران او توجهان –الاول يميل الى اتباع الاشكال الكتابية السلفية والاخر ينحى للتجديد وتباينت شدة هذا الصراع تبعا للظروف الاجتماعية والسياسية ولا اعتقد ان أي احد منها قادر على ان ياتي بجديد حول هذا الجدل القائم. فحكمة الشعر العالمي والعربي والعراقي تموجت فيها مثل هذه الصراعات. وارى ان الشعر لا يمكن تحديده بمساطر وموازين فكرية وايدلوجية. فالشعر كتابة ضوئية تحلق في فضاءات المجهول بحثا عن اسئلة متكررة تحمل الكونية والانسانية الشاملة وهكذا ذهب الشعر في كرته وراح النقاد والمتلقين يلاحقون الشعراء بمراحل تتباين بين جذب وفتور لكن الشعر ظل يعدو باحثا عن اشكال شتى لمثوله اما المتلقي الذي ظل ابدا اسيرا لذائقته المجبولة بالعادة والمألوف. وعلى ما تقدم فليس شكل القصيدة هو المهم والحاسم في التأثير على المتلقي وليس المضمون المؤدلج هو المهم والحاسم ايضا. بل هما معا يلعبان دورا تكامليا في التأثير والحضور على الدوام.